المحاضرة 02: علم اللغة الاجتماعي وعلم الاجتماع اللغوي

1- **الفرق بين المصطلحين:** يستعمل بعض الباحثين مصطلحي: علم الاجتماع اللغوي (la sociologie de la langue) وعلم اللغة الاجتماعي (la sociolinguistique) للدّلالة على مفهوم واحد، في حين يميّز البعض الآخر بين هذين المصطلحين، ويتمّ هذا التّمييز على أساس «درجة الاهتمام ؛ أي أنّ الفرق بين المدلولين يظهر في التركيز على جانبٍ دون آخر: الاهتمام بالجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي، كما يظهر الفرق عندما يكون الباحث المعيّن أقدر من صاحبه أو أكثر منه خبرة وأعمق تخصّصا في هذا الجانب أو ذلك، أي الجانب اللغوي، أو الجانب الاجتماعي». فعلم اللغة الاجتماعي هو دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع، وعلم الاجتماع اللغوي هو دراسة المجتمع في علاقته باللغة، حيث يكمن الفرق بين الجانبين في الاهتمام الذي يوليه الدّارس للغة والمجتمع، وكذا مهارته في تحليل البنية اللغوية أو البنية الاجتماعية، والباحث في مجال اللغة يركز اهتمامه على المصطلح الأول، لأنّ الثاني يدخله في حقل واسع ليس من أهل التّخصص بتفرّعاته، وهو علم الاجتماع (la sociologie).

2– علم الاجتماع اللغوي: يدرج الباحثون علم ا**للغة** الاجتماعي ضمن فروع **علم اللغة**، وعلم **الاجتماع** اللغوي ضمن فروع **علم الاجتماع**، حيث يأخذ هذا الأخير (أي علم الاجتماع اللغوي) «من نظريات علم الاجتماع وأطره المنهجية أساسه في وصف الظواهر اللغوية وتفسير عمليات التفاعل المرتبطة بها، وعلاقتها بالظواهر الأخرى في نشأتها وتطوّرها، وأدائها لوظائفها بالنسبة للمجتمع والثقافة والشخصية». ومن القضايا التي يعالجها هذا الفرع: أثر التعدّد اللغوي على النمو الاقتصادي، وما يمكن أن تتبناه الحكومات من السياسات اللغوية دون أن يهتمّ بتوضيح طبيعة اللغة، لأنّ الدراسات الاجتماعية الشاملة، حسب هذا العالم، تترك اللغة دون تحليل.

3- علم الاجتماع وأهم فروعه: يهتم علم الاجتماع Sociology بدراسة المجتمع وما يسود فيه من ظواهر اجتماعية مختلفة دراسةً تعتمد على أسس البحث العلمي، ويهتم هذا العلم بدراسة المجتمع الإنساني، والبحث في العلاقات التي تقوم بين النّاس، وما يترتّب عن تلك العلاقات من

ظواهر اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية وتتغير بتغير الزمان والمكان، ثمّ تُستنبط قوانين علم الاجتماع.

وعلم الاجتماع علم شامل وعام، معقّد الموضوع، يرتبط بعلوم إنسانية أخرى، ولا يمكنه أن يتناول الوقائع المحدّدة من خلال علم واحد معيّن من هذه العلوم. فموضوعه هو النّظم الاجتماعية والاقتصادية، كما يتناول الأديان، وعلم النفس، والثقافة، واللغة، وله اهتمامات بالسياسة، والجغرافيا، ومنه انبثقت عدة علوم فرعية، منها: -علم الاجتماع الحقوقي/ علم الاجتماع الاقتصادي / علم الاجتماع الدّيني / علم الاجتماع النّفسي / علم الاجتماع الثقافي / علم الاجتماع التربوي/ علم الاجتماع الجغرافي/ علم الاجتماع السياسي/ **علم الاجتماع اللغوي**...الخ[1]، هذا الأخير هو من أهم فروع علم الاجتماع، لكن بعض الدارسين يخلطون بينه وبين علم اللغة الاجتماعي الذي هو فرع من فروع علم اللغة.

4- منهج دراسة اللغة من منظور علم الاجتماع اللغوي: إنّ عالم الاجتماع الذي يهتمّ بالظّاهرة اللغوية وأنماط سلوكها في مجتمع معيّن لا يدرس اللغة في ذاتها أو لذاتها، بل يأخذها على أنّها مادة ثريّة لها أهمّيتها في توضيح الظواهر الاجتماعية وتفسيرها بصورة أدقّ وأعمق، حيث إنّ السلوك اللغوي في نظره لا يعدو أن يكون ضربا من السلوك الاجتماعي وبينهما تفاعل دائم وتبادل في الكشف عن هوّية الأفراد ومواقفهم في مجتمعهم الكبير. فمهمّة علماء الاجتماع في هذه الحالة تُوجَّه في الأساس نحو إلقاء الضوء على **مشكلاتهم** بالاعتماد على اللغة وطرائق توظيفها، يعني أنّ المنهج الذي يسلكه عالم متخصّص في علم الاجتماع في دراسته للغة ليس نفسه منهج اللساني الاجتماعي، لأنّ تخصصّيهْما مختلفان، وأهدافهما كذلك مختلفة.

5- **منظور علم اللغة الاجتماعي**: يستهدف علم اللغة الاجتماعي دراسة تأثير العوامل الاجتماعية لطبقات المجتمع في لغة هذه الطبقات، وتهتمّ المدارس اللسانية الاجتماعية بالبحث في اللغة من منظور اجتماعي، حيث لا يفرّق اللسانيون الاجتماعيون (مثلما فعل اللسانيون البنويون) بين اللغة

[1]– كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ص43، بتصرف.

والكلام، ولا يُخرِجون الكلام من دائرة أعمالهم، بل يكاد البعض منهم يحصر اهتمامه في دراسة **الكلام وتنوّعاته**، على أساس أنّ هذه التنوّعات كاشفة عن الهوية الاجتماعية للأفراد، وينظرون في تلك القواعد والقوانين المرتبطة بالمجتمع، كأن ينظروا فيما يقع من تنوّعات بين الأفراد، أو المجموعات المختلفة في البيئة اللغوية للتعبير عن فكرة واحدة، ويحاولون ربط تلك التنوّعات الكلامية بمصدرها (الأفراد) من حيث طبقاتهم الاجتماعية والثقافية والحرفية...الخ، كما يأخذون هذه **التنوّعات مادة وأساسا** للكشف عن هذه الطبقات، وتعيين مواقعها في المجتمع، وبيان خواصها المميّزة لها لغويّا واجتماعيّا.

خلاصة: ينطلق علم الاجتماع اللغوي من الواقع الاجتماعي إلى الواقع اللغوي، وينطلق علم اللغة الاجتماعي من الواقع اللغوي إلى الواقع الاجتماعي، حيث يستهدف الأول دراسة المجتمع من خلال لغته، فهو يجعل المجتمع أصلا واللغة فرعا، في حين يسعى الثاني للكشف عن تأثير العوامل الاجتماعية في لغة الجماعة، كتأثير العوامل الاجتماعية لطبقات المجتمع في لغة تلك الطبقات، لذلك فإنّ هذا العلم هو جزء من دراسة اللغة، هذه الأخيرة هي الأصل في هذه الحال والمجتمع هو الفرع، ويكون موضوعه الأساس هو الظواهر الاجتماعية، لكن كلا الفرعين يشتركان في اهتمامهما بالظاهرة اللغوية، لذلك لا يفرّق الكثير من الدّارسين بين المصطلحين السابقين.

وقد قسَّم اللساني الاجتماعي رالف فاسولد (R. Fasold) سنة 1984، فروع علم اللغة الاجتماعي إلى قسمين كبيرين، وهما:

أ- **سوسيولسانيات المجتمع** (La sociolinguistique de la société) وهذا يقترب ممّا يسميه فيشمان "سوسيولوجيا اللغة" الذي يتضمّن البحث عن العوامل التاريخية التي تتسبب في التّعدّد اللغوي، وأسباب الاختلاف اللغوي، ووضعيات المتكلمين تجاه اللغات المختلفة، ويضمّ كذلك البحث في أشكال التّخطيط اللغوي، وأنماط السياسات اللغوية.

ب- **سوسيولسانيات اللغة** (sociolinguistique de langue) : وهي جوهر اللسانيات الاجتماعية، تربط الأشكال اللغوية (الصوتية، والصرفية، والنحوية والمعجمية) بالمعطيات الاجتماعية، ويستهدف هذا المجال الكشف عن العلاقة بين التغيرات والاختلافات اللغوية والاختلافات والتغيرات الاجتماعية، ويبحث في ما يسميه هايمز باثنوغرافيا التواصل، وهو المجال الذي يشتغل على التنظيم الثقافي للاستعمالات اللغوية، ويركّز على علاقة اللغة بالمجتمع، وكل ما يرتبط بتحليل الخطاب.